أحمد زكي أبو شادي

ولد سنة ١٨٩٢

هـو الشـاعر المجـدد، والأديـب الحـر المفكـر، الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

ولـد سـنة ١٨٩٢ بالقـاهرة، مـن أسـرة عريقـة فـي الوطنية وأبوه المرحوم محمد أبو شادي أحد كبار المحامين الذين نالوا المكانة الرفيعة في عالم المحاماة وممن جاهدوا فـي الحركـة الوطنيـة، ووالدتـه السـيدة أمينـة نجيـب مـن السـيدات الأديبـات الشـاعرات، وكـان أخوهـا المرحـوم مصطفى نجيب [١] أديباً وطنياً وصديقاً ونصيراً للمرحوم مصطفى كامل.

أتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية في المدارس المصرية، وظهرت مواهبه الشعرية والأدبية في هذه المرحلة من الدراسة، وكان من تلاميذ مصطفى كامل في الوطنية، ودخل كلية الطب بالقاهرة، ولم تصرفه الدراسات الطبية والعملية عن الاستمرار في دراسته الأدبية، فأحب الشعر وتذوقه، وأقبل على نظمه وهو في هذا السن المبكر، وشعره رقيق ممتع، يمجد الوطنية وينزع إلى الحرية والتجديد والخروج على الأساليب القديمة، واحتفظ بهذا الطابع على تعاقب السنين، أكمل دراسته الطبية في إنجلترا، وتعمق في الآداب الإنجليزية إلى جانب دراسته من قبل للآداب العربية، وازداد تعلقاً بالتجديد في الأدب والشعر، ولما عاد إلى مصر تنقل في مناصب الحكومة وصار أستاذاً للبكترولوجيا بكلية الطب بجامعة الإسكندرية ومديراً للمعمل البكترولجي بالمستشفى الحكومي بها.

---

(١) والد الأديب الأستاذ سليمان نجيب.

كان ولا يزال يصدر في شعره عن إلهامه وعقيدته وإيمانه، وفي ذلك يقول عن نفسه:

وهـل كـان شـعري غيـر إيمـاني مهجتـي وعشـــقي وإحساســـي ولحنـــي المـــردد

وكون مدرسة أدبية تزعمها ترمي إلى الثورة على القديم والدعوة إلى الحرية في الفكر والأدب والفن، وكان لهذه المدرسة مجلة أدبية تسمى مجلة (أبولو) الشعرية الأدبية، وأصدرها أبو شادي في القاهرة سنة ١٩٣٢ وكانت ندوة لأنصار الجيد من الشعراء والأدباء، وتكاد تكون المجلة الشعرية الوحيدة التي ظهرت العالم العربي، وقد استمرت نحو ثلاث سنوات ثم احتجبت.

وقد صادف أبو شادي في حياته الحكومية والأدبية عنتا وأذى من رؤسائه وأنداده، واستهدف من أجل نزعته الحرة لشتى ضروب المناوأة، فاعتزم الهجرة من مصر، وهاجر فعلا إلى نيويورك في سنة ١٩٤٦، وهناك رحبت به الدوائر الأدبية والعملية ترحيباً عظيماً، وأخذ ينشر في الصحف والمجالات العربية والأفرنجية في أمريكا ثمار أدبه وشعره، ونفحات آرائه وأفكاره، كما أخذ يذيع من "صوت أمريكا" مرتين في الأسبوع، وأسس في نيويورك (رابطة مينرفا) الشعرية الثقافية في العالم الجديد، وانتخب أستاذاً للأدب العربي بمعهد آسيا بنيويورك، وهو يتولاه إلى الحديثة، وهو رغم هجرته إلى العالم الجديد دائم الصلة بوطنه بواسطة الصحافة في أمريكا وفي مصر، وبواسطة مريديه وتلاميذه الممتازين الذين اقتبسوا من روحه التقدمية وتعلقه بالحرية وإيمانه بما يقول ويكتب.

وهو في أحاديثه ومحاضراته لا يفتأ يذكر مصر ويناضل عنها ويحن إليها ويشيد بها وبعلمائها وأدبائها وكتابها وتاريخها، وهو في غربته خير سفير أدبي لمصر في العالم الجديد.

وله عدة دواوين من الشعر نحي فيها منحي التجديد والابتكار. وحلق في سماء الفن والخيال والسمو الفكري.

نذكر منها ديوان "أنداء الفجر" وهو أول دواوينه ومختارات من نظمه سنة ١٩١٠. و"أنين ورنين" وهو صور من شعر الشباب. و"الشفق الباكي" وقد ظهر سنة ١٩٢٤. و"الينبوع". سنة ١٩٣٥. و"عودة الراعي" وقد ظهر سنة ١٩٤٢.

ومن آخر دواوينه "من السماء" وقد ظهر في نيويورك سنة ١٩٤٩ ويضم معظم شعره من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٩.

هذا ماعدا ما أخرجه من الكتب والمؤلفات والقصص والمسرحيات.

رثاؤه لمصطفى كامل

قال من قصيدة له في فبراير سنة ١٩٠٨، وكان ما يزال طالباً بالمدرسة الثانوية يرثي مصطفى كامل:

يا مصر حلق طير اليأس في أفق ... داج بأحزان شعب كان ساليها
مات الرئيس فماتت بعده همم ... قد كان نبراس فكر منه يجليها

إلى أن قال:

سارت به أمة أحيا مداركها ... حتى إلى القبر وارت فيه حاميها
ودت لو أن صروف الدهر تأتيها ... وتلكم النفس هذا الشعب يفديها
والكل يلبس ثوبا للحداد أسى ... على الفقيد وما من ثمت يهديها
أبصارها نكست من فوقها كتبت ... عبارة كان صدق الحس يمليها
يا مصر الفتاة مرور العمر تذكره ... لروحه لم تزل تعدو أمانيها

مفخرة رشيد

وله في سنة ١٩٢٥ قصيدة وطنية من نيف وستين بيتا، نظمها تمجيداً لذكرى معركة رشيد التي وقعت يوم ٢١ مارس سنة ١٨٠٧ بين المصريين والإنجليز وفاز فيها أبطال رشيد على الجيش البريطاني الذي زحف على مدينتهم يريد احتلالها، فصمدوا له وقابلوه في الشوارع واستبسلوا في الدفاع عن مدينتهم حتى صدره عنها وهزموه وارتد عن المدينة بعد أن فقد في المعركة ١٧٠ قتيلا و ٢٥٠ جريحاً و ١٢٠ أسيرا [١]، وكانت هذه المعركة حقا مفخرة لرشيد وأشاد أبو شادي أيضاً في قصيدته بالمعركة الثانية التي وقعت في (الحماد) وانتهت كذلك بهزيمة الجيش البريطاني.

---

(١) راجع في تفصيل معركة رشيد كتابنا (تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث– عصر محمد علي).

obeikandl.com

قال:

روحينـــــا بأحاديـــــث الجـــــلال ... وبـــنفح مـــن هـــواهم غيـــر بـــال
واســمحي (يــا مصــر) أن نزجــي لهــم ... منتهـــي فخـــر رجـــال برجـــال
مـــا عرفنـــا قـــدرنا إن لـــم نحـــز ... ســـيرة مـــنهم تغـــذينا بحـــال
وبآمـــــــال لآت غالـــــــب ... إن آتـــى المجـد مـن ماضـي الخيـال
خـــاطئ مـــن ظـــن ماضـــيه بـــلا ... مرشـــد يهـــدي إلـــى غـــالي المـــآل
مآنمـــا شـــعب بـــلا جهـــد مضـــى ... وتبقـــى فيـــه تـــذكار الفعـــال
هـــي أحـــلام وأعمـــال بنـــت ... فـــي ســـنين وســـنين كـــل غـــال
هـــو مهـــد ولـــدت فيـــه العلـــى ... بأنـــــاة وكفـــــاح ونـــــوال
لـــم تجـــئ طفـــرة جيـــل لاعـــب ... إنمـــا جـــاءت علـــى طـــول الليـــالي
كـــابر عـــن كـــابر قـــد صـــانها ... بمراعـــــاةٍ وأخـــــلاق المعـــــالي

إلى أن قال محييا ذكرى أبطال رشيد الذين صدوا جيش الغزاة المستعمرين:

روحينـــا (مصـــر) مـــن ذكراهمـــو ... تلـــك ذكـــرى عـــن بلـــوغ لمحـــال!
بلغينـــا كيـــف أودى عـــزمهم ... بصـــعاب قمـــن أقســـى مـــن جبـــال!
كيـــف هـــزوا قـــوة أكبرهـــا ... عـــالم القـــوة والحـــرب الضـــلال!
كيـــف ضـــحوا للرمـــال دمهـــم ... فـــي دفـــاع العـــز عـــن تلـــك الرمـــال!
كيـــف أفنـــوا مـــن جنـــود صـــوبت ... نحـــوهم أقـــوى معـــدات القتـــال!
كيـــف كيـــف استبســـلوا فـــي واجـــب ... وأقـــاموا الملـــك وضـــاء الخـــلال؟!

***

يـــا (رشـــيد) الـــذكر حـــي خالـــد ... لعظـــيم الجهـــد معـــدوم المثـــال
أنـــت ثغـــر نـــاطق فـــي رســـمه ... حرمـــة الماضـــين (للنيـــل) الـــزلال

إلى أن قال:

مثـــل مـــا أذكـــى لهـــا شـــبانها ... فتحـــدوا خصـــمهم قبـــل الســـؤال
كـــالجراد نشـــرهم فيـــك علـــى ... ربـــوات يرقبـــون وتـــلال
فـــإذا العـــادون جـــاءوا مـــا بهـــم ... ثقـــة إلا وضـــاعت فـــي مـــلال
وأتـــت فـــرقتهم فـــي نشـــوة ... عنـــك فارتـــدت خيـــالاً فـــي خيـــال! (١)
بـــين قتلـــى وحيـــارى هربـــوا ... وضـــحايا لإســـار وعقـــال
ثـــم جـــاءوا فـــي جمـــيس لحـــب ... وعـــواد لـــم يكـــن جالـــت ببـــال (٢)
مـــن متـــاريس كفـــت رؤيتهـــا ... لحســـاب وعقـــاب ونكـــال!
وعديـــد بـــين بـــاغي مـــدفع ... أســـود الوجـــه وإمـــداد مـــوال!
وأبـــوا إلا حصـــاراً هـــائلاً ... فـــدفعت الحصـــر دفعـــا بـــالعوالي!
وغنمـــت كـــل مـــا كـــان لهـــم ... مـــن شـــموخ وإبـــاء قبـــل مـــال
رحلـــوا رحلـــة جـــان ضـــائع ... بـــئس يـــوم الخســـر مـــن يـــوم ارتحـــال

***

هكـــذا بالبـــأس تحيـــا أمـــة ... لا بخـــوف أو غلـــو أو خبـــال
هكـــذا بالوحـــدة الحســـناء لا ... يعـــدم الإصـــباح أبنـــاء الهـــلال
إن شـــعبا يتحـــدى (انجلتـــرا) ... فـــي مجـــال الحـــق شـــعب لا ينـــال
وبنـــين ينشـــدون مثـــل مـــا ... أحســـن الآبـــاء أولـــى باكتمـــال
إنمـــا الأمـــة مـــن أفرادهـــا ... فـــي ثبـــات ووفـــاء ونـــزال

---

(١) يقصد معركة رشيد.

(٢) يقصد معركة (الحماد) التي تقع جنوبي رشيد بين النيل وادكو؛ وقد وقعت المعركة الثانية بين الإنجليز والمصريين يوم ٢١ إبريل سنة ١٨٠٧؛ وكانت أشد وأقوى من معركة رشيد، وهزم فيها الجيش البريطاني أيضاً هزيمة ساحقة، انتهت بفشل الحملة البريطانية وجلاء الإنجليز عن الديار المصرية في سبتمبر سنة ١٨٠٧.

obeikandl.com

إلى أن قال:

إيـــه قـــومي قمـــت فـــيكم ذاكـــراً (نـافرين) الأمـس فـي مشـحى المقـال
وأنـــا اليـــوم طـــروب ذاكـــر درة التـــاريخ شـــعت كـــاللالي
فلنـــا كلتاهمـــا عنـــوان مـــا يحفـظ التـاريخ مـن غـال وحـال
أي مصـــري درى مـــا لقنـــا مـن عظـات ثـم أضـحى وهـو سـال؟
أي جمـــع مـــن خصـــال خـــرة لـم تكـرم جمـع هاتيـك الخصـال؟
أي شـــعب فـــي جـــلال وســـني يـــدعى أنـــا عبيـــد ومـــوال؟
كلنـــا فـــرد لـــه أمتـــه حظـه بـل قصـده فـي كـل حـال
لا ســـبات- هـــان أم طـــال بنـــا- مـــا يـــؤدي بعلانـــا لا نحـــلال
فـي طـلاب المجـد- أن تمضـي بنـا فتـــرة للهـــو أو دور انتقـــال
خـــاب مـــن ظـــن الرقـــاد ميتـــة كـم أسـود رقـدت تحـت الظـلال!

***

آن رجـــع الجهـــد قـــومي فانفضـــوا ســـنة اللهـــو وهيـــا للمجـــال!
بســـلاح العلـــم قبـــل الســـيف قـــد صـــارت الحـــرب أعاجيـــب اشـــتغال
رب خـــيط مـــن نســـيج القطـــن لا يبلـــغ المـــدفع منـــه كفعـــال
عـــالم فيـــه الفنـــون قـــوة والصـــناعات وليســـت للجـــدال
عمـــل مســـتتبع لا نقضـــي لاقتصـــاد وانتفـــاع واشـــتمال

***

أمتـــي! أحلـــى دعـــائي دعـــوة لـك مـن قلبـي بهـا أسـمي ابتهـالي؟

رثاؤه لفريد

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة له في رثاء محمد فريد:

سلوا (برلين) عمن حل فيها ... يفتت كبده المرض العنيد
مضى يستوجب الأيام عمرا ... تتم به المساعي والجهود
فلم يذهب بعلته طبيب ... ولم يكتب له عمر جديد
وخر على السرير وحب مصر ... على تبريح عليته يزيد
فيا لهفي عليك وأنت كهل ... غريب عن أحبته بعيد
تموت فلا ترى مثواك أم ... ولا أخت ولا زوج ودود
ولا يروي ثراك أخ شقيق ... بدمعته ولا طفل وليد

الحياة كفاح

قال سنة ١٩٢٣ من قصيدة له عن (المجاهد الجريح) يصف الحياة وأنها كفاح وجهاد:

شهدت من الدنيا المعارك والمنى ... تشوق الفتى نحو المعارك والخطب
فصرت كجندي جريح مضمد ... يئن ولكن كم يحن إلى الحرب
ويهرب من حكم الحجا في وثوبه ... إلى ساحة الهيجاء والموقف الصعب
توالت جراحاتي وأوذيت دائما ... وهيهات ألقى من سلاحي ومن دأبي

يدعو الشعب إلى مجاهدة الفساد

وقال من قصيدة له في ديوانه (عودة الراعي) سنة ١٩٤٢:

يا شعب قم وانشد حقوقك ... فالخنوع هو الممات
تشكو الغريب وعلة الشكوى ... الزعامات المروات

***

obeikandl.com

قـــد عمـــت الفوضـــى وقـــد دب الفســـاد بكـــل شـــي
فـــإذا ســـكنت فلـــن تعـــد ولـــن يفـــي لـــك أي حـــي

***

مـــا دمـــت تقبـــل أن تكـــون مـــن الضـــحايا كالعبيـــد
سيســـومك القـــوام والأســـياد ألـــوان القيـــود

***

يـــا شـــعب كيـــف تطالـــب الغـــرباء بـــالبر الســـخي
وتطيـــق ملكـــك فـــي محـــا بـــاة وفـــي نهـــب وغـــي

***

هيهـــات يعطـــي الحـــق مـــن ألـــف التهـــاون فـــي الحقـــوق
هـــذا هـــو العـــدل الصـــحيح وغيـــر هـ عـــين المـــروق

***

انهـــض وحـــاكم بائعيـــك إلـــى الهـــوى والـــى الفســـاد
أو مـــت ذلـــيلا لا يقـــا س بذلـــه حتـــى الجمـــاد

يودع مصر

وقال يودع مصر ويذكر أسباب هجرته في قصيدة له عنوانها (لم أتحلت؟):

ســـألوني لـــم ارتحلـــت؟ كـــأني لـــم أجـــبهم بســـيرتي نصـــف قـــرن
شـــادياً بـــالطليق مـــن شـــعري البـــاكي أغنـــي لمجـــدهم مـــا أغنـــي

obeikandl.com

وحيـــــاتي لعـــــزهم فـــــي كفـــــاح ككفـــاح الشـــعاع فـــي وســـط دجـــن
مثـــل لـــــن تخـــــذ نوعـــــا وعـــــدا كنجـــوم الســـماء فـــي كـــل فـــن
وتبلغـــــت بالعـــــذاب وبـــــالبؤس مـــــرارا وكـــــل حظـــــى التجنـــــي
وكـــــأني وحـــــدي المســـــئ بإحســـــا نـــي لعصـــري أو أنـــه لـــم يســـعني
مـــا كفـــاهم أتـــى أعـــاني وجـــودي فـــي وجـــود بقـــاؤه محـــض غـــبن
مـــا كفـــاهم أنـــي أواصـــل ليلـــى بنهـــاري لأجلهـــم وســـط مـــن
مـــا كفـــاهم أنـــي أضـــحى بروحـــي حينمـــا عـــز مـــن يضـــحي ويفنـــي
مـــا كفـــاهم أنـــي تناســـيت نفســـي فـــوق نســـيانهم حقـــوقي وأمنـــي
مـــا كفـــاهم أن يلهـــم ذلـــك الـــرا ئـــد يشـــقي كـــالراح فـــي أســـر دن
مـــا كفـــاهم أنـــي ارتضـــيت شـــقائي لـــي جـــزاء ويهـــدمون وأبنـــي
مـــا كفـــاهم هـــذا وهـــذا فنـــادوا يعقـــوقي ومـــا راعـــوا حتـــى ســـني
ثـــم حـــالوا بـــين المثاليـــة العلـــ ـــيا لكفـــري وبـــين شـــعبي وبينـــي
فترحلـــت حيـــث تحتـــرم الأحـــرار وحيـــث الهـــواء طلـــق لـــذهني
وأظـــل الـــوفي رغـــم اغترابـــي لـــبلادي مـــا غيبـــت قـــط عنـــي

القلب الباكي

ومن قصيدة نظمها في عيد ميلاده عام ١٩٤٨ يناجي فيها الوطن قائلا:

يـا مصـر لـولاك مـا فارقـت فـي حرقـي أزكـــي الجنـــان، ولاعوقبـــت، لـــولاك
أهـواك فـي غربتـي أضـعاف مـا سـمحت بـــه المقـــادير فـــي قربـــي، واهـــواك
مـــا العيـــد عنـــدي فـــي مباهجـــه أنـــا الغريـــب فعيـــدي يـــوم ألقـــاك
علـــى ســـلام وفـــي حريـــة شـــملت لا أن أعـــود لأغـــلال وأشـــراك
الـــثلج حـــولي أحنـــي فـــي تحـــرره علـــى فـــؤادي مـــن ضـــيم بـــدنياك
والنفـــي أســـعد أيـــامي إذا فرضـــوا ذل الجبـــاه لمـــأمون وأفـــاك
يـــارب مقتـــرب فـــي حكـــم مغتـــرب وضـــاحك كـــل مـــا فـــي قلبـــه بـــاك

الحنين إلى الوطن

قال يصف حنينه إلى الوطن وتعلقه به في غربته:

نفيـــان: نفـــي مغـــرب عـــن أمتـــي ... عـــان، ونفـــى معـــذب فـــي وحـــدتي
وحيـــالي الأفـــراح شـــتى مـــا لهـــا ... حـــدء، فـــلا ألقـــى النعـــيم بنعمتـــي
قـــالوا فـــررت ومـــا فـــررت وإنمـــا ... كافحـــت فـــي وطـــن بـــه حريتـــي
وضـــربت بالحرمـــان أمثـــال الهـــدي ... للعـــاملين وكـــم شـــقيت لأمتـــي
لـــم أعـــن بالأشـــكال قـــدر عنـــايتي ... بتمســـكي بمبـــادئي فـــي ثـــورتي
حـــرق البخـــور لمـــن أذل بـــلاده ... وحرقـــت فـــي إعزارهـــا مـــن مهجتـــي
وجعلـــت مـــا عانيـــت قربانـــا لهـــا ... وأظـــل فـــي ســـقمي وفـــي شـــيخوختي
وطنـــي! رضـــيتك منصـــفا فـــي قـــدره ... جهـــدي وإخلاصـــي وغايـــة غيرتـــي

يتشوق إلى مصر

ومن قصيدة له في حفلة أقيمت لتكريمه في نيويورك سنة ١٩٥٠:

تركـــت مصـــر وقلبـــي لوعـــة ولظـــى ... لجنـــة ضـــيعت فـــي نـــوم جنـــان
فـدى لهـا- لـو أباحـت- كـل مـا ملكـت ... نفسـي ومـا وهبـت فـي حبهـا الجـاني
تركتهـــا وبـــودي غيـــر مـــا حكمـــت ... بـــه المقـــادير فـــي أشـــجان لهفـــان
وقلـــت علـــى علـــى بعـــد أشـــارفها ... وأنفـــخ الصـــور إن فاتتـــه نيرانـــي
اثنـــان خلـــدت الـــدنيا لأجلهمـــا ... الحـــب والتيـــل مـــذكانا بإنســـان

الوطن بأبنائه

قال في اعتراف المواطنين بأقدار الرجال وأنه من مظاهر الوطنية السليمة:

إذا عـــرف الرجـــال حقـــوق بعـــض ... لـــبعض نزهـــوا عـــن كـــل ضـــعف
فتنـــتظم الـــبلاد بهـــم وتســـمو ... ويغـــدو الفـــرد معـــدودا بـــألف

obeikandl.com

تأملات

ومن قوله في قصيدة له بعنوان (أقصى الظنون):

ما الخلق، ما هذه الدنيا ومنشؤها؟ ما الفكر ما الجوهر الباقي وما العدم؟
مسائل هي للأحقاب باقية ما سيبقى الردى والشك والألم
أجل فرض لها وهم وأيسره وهم وقد يستوي الدهماء والعلم

الوطنية والعروبة

ومن قصيدة له يعبر فيها عن وطنيته وعروبته:

إن العروبة والكنانة ملتي دين يوحده الوفي العابد
فلموطني روحي وكل جوارحي ولكم حنيني والشعور الماجد
يكفي لنا النسب العتيد مجمعاً فجميعنا صيد رماه الصائد

نداء الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩٥١ يناجي الشعب ويمجد جهاده ضد الاحتلال في معركة القتال:

بوركت يا شعب الكنانة ثائراً حراً ويا وطن البطولة قاهرا
أزجي إليك تحيتي من خاطر دام ومن قلب يذوب مشاعرا
يأبي النفاق ولا يبوح بغير ما جعل الحياة نفائسا وذخائرا
ليس الصديق هو المقرب وحده ولرب مهجور يظن الهاجرا
إن كان غيبني العتاة فمهجي لك أين كنت مكافحاً ومناصرا
آبي مساومة الطغاة وإن أذق شرا الأذاة، مواليا لك ذاكرا

obeikandl.com

إن كـــان يعوزنـــا الســـلام فربمـــا خلـــق الإبـــاء بنـــا الســـلاح البـــاترا!

***

وحـــش للاســـتعمار يمعـــن شـــره باســـم الحضـــارة والتقـــدم ســـاخرا
وكأنمـــا حســـب العقـــول نفايـــة للنـــاس، أو بعـــض الهـــواجس دئـــرا
هـــل يصـــلح المـــذياع مـــن آثامـــه حـــين الرصـــاص بصـــيح أرعـــن كـــافرا؟
حـــين الفظـــائع قـــد خطـــبن بألســـن للنـــار واعتلـــت الجـــراح منـــابرا؟
حـــين الأســـاطير التـــي يـــدلي بهـــا ســـبت بصـــائر للـــوري وســـرائرا؟
حـــين الخرائـــب صـــارخات حولـــه مثـــل اليتـــامى لا تمثـــل عـــامرا؟

***

إن كـــان حســـن الظـــن ذنبـــا أولا فيـــه، فكيـــف يعـــد ذنبـــاً آخـــرا؟
هـــو غايـــة الإجـــرام للـــوطن الـــذي عـــاني وعـــاني مـــن أذاه خســـائرا
لـــن يمـــنح الـــوطن المفـــدي صـــفحة لفتـــى يخـــادع أو يخـــادع صـــابرا
ويـــرى بالاســـتعمار بعـــض خلاصـــة هـــل كـــان الاســـتعمار إلا جـــائرا؟
قـــرن مـــن التغريـــر علـــم نشـــأنا أن يحـــذروه مفاوضـــا ومشـــاورا
حـــذرا بنـــي وطنـــي! فـــذاك عـــدوكم مهمـــا تقلـــب فـــي المظـــاهر مـــا كـــرا
لا تمنحـــوه ســـوى القطيعـــة وحـــدها فمـــن القطيعـــة بمـــا يكـــون الزاجـــرا
أو مـــا يكـــون بـــه الخـــلاص ليـــومكم وعـــد نؤمـــل فيـــه بعثـــا بـــاهرا!
حـــذراً بنـــي وطنـــي وكونـــوا وحـــدة فعالـــة، لا ضـــجة وحنـــاجرا!
ليســـت ســـلامتكم مجـــالاً هينـــا إن الســـلامة قـــد تكـــون مخـــاطرا
لا تأســـفوا- مهمـــا حـــزنتم- للألـــى ذهبـــوا الضـــحايا فـــي (القنـــاة) حرائـــرا
حمـــل الأديـــم مـــن النجيـــع وصـــية تبقـــى لأحقـــاب تـــدوم ذواكـــرا
خلـــوا التغنـــي بالجـــدود وفضـــلهم مهمـــا تـــلألأ روعـــة ومفـــاخرا
فهـــو الغنـــى بذاتـــه عـــن ذكـــره إلا لـــيلهم غافيـــا أو شـــاعرا
وخـــذوا بأســـباب لمنعـــة حاضـــر إن الحقيقـــة مـــا تمثـــل حاضـــرا
كونـــوا مـــن الشـــهداء فـــي إعجـــازكم بثبـــاتكم، لا تجعلـــوه العـــابرا

obeikandl.com

لا عـــذر بعـــد اليـــوم عنـــد تهـــاون إن التفـــــوق لا يطيـــــق معـــــاذرا!

يهاجم فاروقا قبل خلعه

ومن قصيدة لـه نشرها في مجلة (الشهداء) التي تصدر في حلب- عدد ابريل سنة ١٩٥١، يهاجم فيها فاروقاً قبل خلعه بعام، ويشبهه بالكركدن، وهي من بليغ شعره الوطني قال:

مـــن دمعـــة الشـــعب ومـــن كـــده ومـــن دم الأمـــة فـــي نـــرده
مملـــك الحـــد علـــى صـــفوها يـــا ليتهـــا تملـــك مـــن حـــده
كـــم يجعـــل الـــدين حبالاتـــه ليحنـــق المصـــلح فـــي مهـــده
قـــد عضـــها الـــنحس، ومـــا عضـــه إلا فـــم يرشـــف فـــي وجـــده
يمـــرغ الأمـــة فـــي رجســـه ويســـرق الأمـــة فـــي رنـــده
عانـــت بـــه وبأوشـــابه فـــي قربـــه بالجـــاني وفـــي بعـــده
منتفخـــا، يمـــزح متســـغرقا فـــي، اللهـــو كالصـــائد فـــي صـــيده
كالكركـــدن الـــذين يزدهـــي فـــي قبحـــه يســـخر مـــن قـــده
لـــم تعطـــه غانيـــة قبلـــة إلا كمـــن تهـــزأ مـــن رشـــده
أو بادلتـــه نكتـــة حلـــوة إلا ومغزاهـــا مـــدى نقـــده
حتـــام يـــا قـــوم ضـــلالاتكم تمكـــن الفـــاجر مـــن قصـــده؟
كنـــا نرجيـــه مثـــال الهـــدى فأصـــبح الغاشـــم فـــي حقـــده
كنـــا نغنيـــه أغـــاني العلـــى فأصـــبح المبـــدل مـــن حمـــده
كنـــا نفديـــه بأرواجنـــا فـــي روحـــه العـــالي وفـــي زهـــده
مـــا بالـــه أضـــحى فتـــى ماجنـــا الشـــارد الخـــادع فـــي وعـــده؟
حتـــام يســـتهزئ مـــن مجـــدكم؟ حتـــام؟ والخســـة مـــن مجـــده
حتـــام يسترســـل فـــي غيـــه؟ حتـــام؟ والســـوقة مـــن جنـــده
حتـــام أعلاكـــم لـــه صـــاغر؟ حتـــام؟ بـــل أهـــون مـــن عبـــده
أعقلكـــم دون دفـــين الثـــرى لـــو يعقـــل الميـــت فـــي لحـــده

يحيي ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢

وقال سنة ١٩٥٢ من قصيدة له محييا ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢:

بوركـــت يـــا وطنـــي العزيـــز محـــرراً ... ســـمحا، وفـــي كـــل القلـــوب حبيبـــا
لـــو اســـتطيع كتبـــت شـــعري مـــن دمـــي ... حتـــى أزيـــد بشـــعري الترحيبـــا
لـــو أســـتطيع ســـألت كـــل خمليـــة ... وبعثـــت بالشـــعر المنـــور طيبـــا
لـــو اســـتطيع زففـــت مـــا أنـــا عاشـــق ... ليكـــون قربانـــا أعـــز قريبـــا
ولـو اسـتطيع بعثـت مـن ضـحك الضـحى ... كنـــزا، ومـــن لهـــف الغـــروب نســـيبا
لـــو اســـتطيع وهبـــت كـــل مكـــافح ... عمـــراً تكـــرر فـــي الخلـــود عجيبـــا
لـــو اســـتطيع أعـــدت أعوامـــاً مضـــت ... لـــتقص أحلامـــا رأت ووجيبـــا
لـــو اســـتطيع بـــذلت أضـــعاف الـــذي ... حملـــت فـــي إيثـــاري التعـــذيبا
لـــو اســـتطيع غســـلت ســـاحة دوركـــم ... بمـــدامعي، ورششـــتها تطييبـــا
لـــو اســـتطيع هربـــت مـــن شـــيخوختي ... ورجعـــت أرفـــل فـــي الشـــباب قشـــيبا

ينادي بإلغاء الملكية

من قصيدة له في أكتوبر سنة ١٩٥٢ يدعو إلى إلغاء الملكية:

اقطعوهـــا وابنـــذوا مـــن دعاهـــا ... نعمـــة، إنـــا شـــبعنا مـــن أذاهـــا
قـــد خـــدعنا فـــي الـــذي قـــالوا لنـــا ... عـــن جناهـــا، بـــئس مـــا يجنـــي جناهـــا
أثـــر أحيـــا قرونـــا ســـلفت ... وأمـــات العصـــر [١] فـــي بغـــي تنـــاهي
قلـــت "أحيـــا" ليتـــه الحلـــم الـــذي ... كـــان أحيـــا الأمـــس إصـــلاحا وجاهـــا
إنمـــا أحيـــا شـــرورا ســـلفت ... زوقوهـــا كـــي يعـــدوه إلهـــا
خـــدعونا حقبـــة واستســـهلوا ... أن يضـــلوا الشـــعب فـــي الـــذل فتاهـــا [٢]
كـــم تغنينـــا بحـــب صـــادق ... فرأينـــا مـــن هـــوي فـــيمن تبـــاعي

---

(١) أي العصر الحاضر.

(٢) فتاة، أي فضل.

obeikandl.com

ســـــلطة الشـــــعب هـــــي الأم التـــــي أنمـــت الأحـــرار، لا دعـــوى ســـواها

يحيى الجمهورية المصرية

وقال في قصيدة له في ١٩ يونيه سنة ١٩٥٣ يحيى الجمهورية المصرية بعد إعلانها[١]:

إذا الحكـــم للجمهـــور أصـــبح رائـــداً أبـي الحـق أن يلقـي بـه العـار والظلمـا
فيـــه أمـــة (النيـــل) المبـــارك حـــاذري -وقد نلت ما تهوين- أن تخلقي الضيما
ولا تقبلـــي التفريـــق فـــي أي مظهـــر فمـــن يقبـــل التفريـــق يســـتأهل الرجمـــا

***

أعيـــذك مـــن وهـــم يصـــير عقيـــدة فكـــم أمـــة هانـــت بإعزازهـــا الوهمـــا
أعيـذ (جمـالا [٢]) والـزعيم (محمـدا [٣]) بحـذقهما مـن حـد مطلبـك الأسـمي
قـد انتزعـا مـن قيـل حظـك عنـوة ومـا برحـا والـذهر كالطـائش الأعمـى
تجبـــر واســـتعلى فـــرداه صـــاغرا وقـد كـان كـالمحموم سـكران بـالحمى
وهـــا أنـــت بالعهـــد الجديـــد طليقـــة ومنجبـــة أعـــلام نهضـــتك الشـــما
ففـــي كـــل شـــبر مـــن ثـــراك خميلـــة وقـــد كـــان الـــويلات تغتالـــه قضـــما
وفـــي كـــل ركـــن مـــن ربوعـــك ملجـــأ تلـــوذ بـــه خيـــر المواهـــب أو تحمـــي

***

---

(١) أعلنت الجمهورية في مصر يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣.

(٢) جمال عبد الناصر.

(٣) محمد نجيب.

obeikandl.com

فيـــا (مصـــر) عضـــى بالنواجـــذ حـــرة ... علـى مـا كسـبت اليـوم واغتنمـي اليومـا
وهيـــا أعـــدى للغـــد المرتجـــي علـــى ... تبـــز بإعجـــاز لهـــا كـــل مـــا تمـــا
إخـــــاء وتنظيمـــــا وعلمـــــا وهمـــــة ... وفنـــــا تهـــــز الغـــــافلين أو الصـــــما
ولا تشـــتكي مـــن لاعـــج اليـــتم بعـــدما ... أزلـت بهـذا النصـر مـن دمـك اليتمـا
ألا فـــي ســـبيل المجـــد مـــا قـــد غنمتـــه ... وهـا هـو قـد أضـحى لكـل الـورى غنمـا
فإنـــــك للأقـــــوام أمثولـــــة الهـــــدي ... ومـــا خـــص شـــعبا يســـتفيق ولا قومـــا

***

تبـــارك ربـــي حـــين ينصـــف أمـــة ... تعـاف ذليـل العـيش واليـأس والنومـا
عزيـــز علـــى مثلـــي البعـــاد وقـــد زهـــت ... منـــائرك الزهـــراء تســـتقبل الســـلما
عزيـــز وفـــي قلبـــي حنـــان مـــؤرق ... وحسـبي- علـى رغمـي- مفـارقتي الأمـا
إذا جئـــت هـــذا اليـــوم أزجـــي تهـــانئي ... فمـــن قلـــب محـــروم تهلـــل إذ يـــدمي
ولكـــن نفـــس الحـــر نفـــس عجيبـــة ... تعـيش علـى الأضـداد مهمـا تكـن غرمـا

يذكر مصر ويحن إليها

وقال من قصيدة أخرى يذكر مصر ويحن إليها:

لا تنهـــروا روحـــي لفـــرط ولوعهـــا ... دمعـــي الـــذي تـــأبون بعـــض مودعهـــا
ألقـــت بـــي الأحـــداث دون ربوعهـــا ... وأظـــل أحيـــا فـــي صـــميم ربوعهـــا
تثـــب الـــرؤى حـــولي بأنفـــاس الربـــي ... ونـــوافح الغـــدران حـــول ربيعهـــا
وتهزنـــي الـــذكرى فأشـــرق بالأســـى ... والـــذكريات وهـــو بهـــا كمنوعهـــا

***

كـــم وأهـــم أنـــي ســـلوت ومـــا درى ... معنـــى الســـلوى وحرقتـــي لجموعهـــا
إن الفتـــى الـــوافي بكـــى حصـــباءها ... كبكائـــــه لســـــمائها وزروعهـــــا
دنيـــا الصـــباحة والجمـــال تـــلألأت ... بحنانهـــا، وتراقصـــت بولوعهـــا
أجـــد الخضـــوع لهـــا أحـــب عبـــادة ... شـــتان بـــين عبـــادتي وخضـــوعها

***

لـــو اســـتطيع طـــردت عـــن أزهارهـــا ... غيـــر النـــدى والشـــمس غـــب طلوعهـــا
وحميتـــــه ممـــــا أغـــــار تجنيـــــا ... وجعلـــت أضـــلاعي ابـــر دروعهـــا
وبعثتهـــا مـــن نومهـــا، وجعلتهـــا ... فـــي عزمهـــا كالشـــمس بعـــد هجوعهـــا
وأثرتهـــــا لعظـــــائم ومفـــــاخر ... ســـيان بـــين وضـــيعها ورفيعهـــا

***

مصـــر الحبيبـــة جنـــة لا أشـــتهي ... منهـــا الخيـــار، فخيرهـــا بجميعهـــا
أهـــوى لهـــا الإعـــزاز كيـــف تمثلـــت ... بحياتهـــا وتصـــورت بصـــنيعها
إن كـــان عـــاقبني الزمـــان بغربتـــي ... فلقـــد أفـــاء علـــى حلـــم بـــديعها
أو لـــم تنـــل عينـــي شـــعاع ســـنائها ... فلقـــد جنـــت عينـــي طيـــوف نزوعهـــا
وتركننـــي فـــي حيـــرة لا تنتهـــي ... والـــنفس حيرتهـــا أشـــد صـــدوعها
ركعـــت بمحـــراب الجمـــال بوهمهـــا ... وتبتلـــت فـــي حبهـــا وركوعهـــا
وأذابـــت الأحـــلام فـــي ألحانهـــا ... والـــدمع والتقبيـــل يـــوم رجوعهـــا!
لا تنهـــروا روحـــي لفـــرط ولوعهـــا ... دمعـــي الـــذي تـــأبون بعـــض دموعهـــا

ذكرى الشهداء

وقال في (ذكرى الشهداء):

ذكـــرى يرددهـــا الزمـــان الـــوافي ... ألـــق الشـــموس لهـــا مـــن الأفـــواف
شـــعت علـــى مـــر الســـنين، وعمرهـــا ... عمـــر البطولـــة بـــآل كـــل شـــغاف
مـــتغلغلا بنهـــى الفـــوارس، دافعـــا ... مـــن يحجمـــون إلـــى الخلـــود الصـــافي
اليـــوم يـــوم صـــلاتنا لجلالهـــا ... واليـــوم نقرؤهـــا الحنـــان الـــوافي
وعلـــى الثـــري نجثـــو، تقبـــل تربـــة ... عبقـــت بحـــر شـــعورها الرفـــاف
مـــا كـــان بالخـــافي علـــى مســـتلهم ... شـــهم، ولـــيس علـــى الأبـــي بخـــاف

***

إنـــا بنـــي الأحـــرار نعـــرف قـــدرها ... ونشـــيمها فـــي النـــور والأطيـــاف
وبكـــل معنـــى للعظـــائم شـــامخ ... وبكـــل نبـــع للحقيقـــة صـــاف
لا مجـــد غيـــر الحـــق يبقـــى ناصـــعا ... ســـمحا علـــى رغـــم الـــردى المـــتلاف

***

هـــذي مقـــابرهم وتلـــك دمـــاؤهم ... مثـــل النجـــوم ونورهـــا الشـــفاف
هيهـــات يـــدركها الطغـــاة وربمـــا ... ســـجدوا لهـــا رغمـــا عـــن الآنـــاف
ســـيجيء يـــوم للحســـاب، قضـــاتهم ... تلـــك العظـــام، بغضـــبة الإنصـــاف!

***

يـــا أمـــة الأحـــرار دومـــي حـــرة ... والتضـــحيات لـــك الجـــلال الكـــافي
وبحبـــك الشـــهداء ضـــمخ ذكـــرهم ... هـــذا الأثيـــر، وشـــاع فـــي الألطـــاف
يـــوم كهـــذا اليـــوم تهـــف عنـــده ... مهـــج الشـــعوب العانيـــات هتـــافي
وتعـــزه الـــدنيا التـــي حلمـــت بـــه ... حلمـــي، وتـــزأر وثبـــة الآلاف!

obeikandl.com

يهاجم الاستعمار وينادي بالثورة عليه

ومن قصيدة له يهاجم فيها الاستعمار وينادي بالثورة عليه، نظمها سنة ١٩٥٢ لمناسبة الصراع بين الحرية والاستعمار في تونس، قال في مطلعها:

ثـــوروا علـــى الظلـــم العتـــى جهـــارا ... لا ترهبـــــوه وإن يكـــــن جبـــــارا!
النـــار لـــم تخلـــق لغيـــر مجاهـــد ... طلـــب العظـــائم حـــين خـــاض النـــارا
لابـــد مـــن صـــهر اليقـــين بشـــعلة ... حتـــى يخلـــص رائعـــاً قهـــاراً
خلـــو الرصـــاص مـــدويا مـــن حـــولكم ... لابـــد أن يهـــوي وأن يتـــوارى
هـــذي البدايـــة للنهايـــة، ولـــم يـــدم ... حكـــم أســـف بـــه الـــدخيل فبـــارا
مـــراكش ثـــارت عليـــه، وفـــي غـــد ... ســـنرى الجزائـــر تصـــفح الجبـــارا

***

أمـــم العروبـــة نخـــوة وأرومـــة ... وثقافـــة، أتقـــدس اســـتعمارا؟
خشـــوا وضـــلوا، والخســـيس بطبعـــه ... يلقـــي الكرامـــة والمكـــارم عـــارا
يـــا ويلهـــم، ومـــن الضـــحايا حـــولهم ... لســـن تحـــدث فـــي الصـــموت مـــرارا

***

"فرحـــات" [١] لـــيس بـــأول أو آخـــر ... لجـــرائم روعننـــا تكـــرارا
مـــا كـــان الاســـتعمار إلا ســـبة ... ولـــو أنهـــا لبســـت حلـــى ووقـــارا
يهلـــو بـــه المســـتعمرون كـــأن نســـوا ... عقبـــى الـــذين يلاعبـــون النـــارا
قـــالوا: "هـــو الـــنعم الجزيلـــة فيضـــه" ... واســـتنطقوا الأدهـــار والآثـــارا
فتضـــاحكت مـــنهم، وفاضـــت عبـــرة ... ودمـــا، وآلامـــا حـــوت، وشـــرارا

---

(١) الزعيم العمالي التونسي الذي اغتاله الفرنسيون.

obeikandl.com

إلى أن قال:

إن قـــــدر المســـــتعمرون خضـــــوعها أبـــدا فقـــد فقـــدوا لهـــم أعمـــارا
ومـــــن الشـــــعوب الســـــاكنات ثـــوائر فـــي حـــين يســـمع غيرهـــا هـــدارا
لـــن يســـتطع الـــذل مـــن تجـــري بهـــم تلـــك الـــدمار وتخلـــق الأحـــرار

***

obeikandl.com